رفع الغاشية

عن

المجاز والتأويل وحديث الجارية

بسم الله الرحمن الرحيم

ف حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى

١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨م

٢٧رقم موافقة الإعلام : ٩٤٨٢٧

تاريخ : ٢٦ / ٣ / ٢٠٠٧م

ف يطلب الكتاب من المؤلف

سوريا- دمشق - هاتف : ٠٩٤٥٤٠٥٠٦١

رفع الغاشية

عن

المجاز والتأويل وحديث الجارية

كتاب يبطل عقائد وشبهات
المجسمة الحشوية بالدلائل القاطعة الجلية

تأليف
نضال بن إبراهيم آل رشي

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمدُ الله الأوَّلِ الآخر ، وصلَّى الله وسلَّم على الأوَّل نبوَّةً والآخر ، وعلى آله وأصحابه الذين حازوا المفاخر ، ومَن تبعهُم إلى اليوم الآخر .

أمَّا بعد :

فلمَّا كان أُسُّ الشرائع ومَقصِدُ الرسالات توحيدَ الله تعالى : ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء : ٢٥] ، ومِن توحيده سبحانه تنزيهُهُ عن الحدوث ومشابهة الخلق : ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ [مريم : ٦٥] ، ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص : ٤] ، ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد : ٣] ، وجرى على ذلك أنبياءُ الله جلَّ وعلا ورسلُهُ وعلى رأسهم سيِّدُ الخلق صلَّى الله عليه وسلَّم ، ثم مِن بعده أصحابُهُ وأتباعُهُم ، وورَّثَ ذلك الأوَّلُ للآخر ، ثم وَرِثَهُ مَن بَعدَهُم كابراً عن كابر ، ولا بدَّ في كلِّ عصر من ظهور الهوى والضلال وخاصةً بعد عصر النبوة : « خيرُ الناس قرني ، ثم الذين يلونهم » ، ثم ظهرت فرقةٌ مِن الفرق قد اتَّبَعَت رأيَها آخذةً بظواهر نصوصٍ تَوَهَّمُوا صحَّةَ استدلالِهِم بها ، فأوقعهم في مهاوي الرَّدَى رأيُهُم ، واستَقَلُّوا بما رَأَوا ، ولم تنفعهم نصيحةٌ ، ولا رَدْعٌ ، ولا مَنْعٌ ، ولا قَمْعٌ ، ولا يَزال يَرِثُ هذا الرأيَ والهوى ومجانبةَ الهُدَى شِرذِمَةٌ انتشر في هذا الزمانِ فسادُ معتقدِها انتشاراً كبيراً ، فعَمَّ به ضَرَرُهُم حتى طَالَ عقائدَ كثيرٍ من المسلمين أصولاً وفروعاً ، كان لا بدَّ من بيان فساد ما ذهبوا إليه نصيحةً لله ورسوله ولأئمَّةِ المسلمين وعامَّتِهِم ، فكتبتُ هذه الرسالةَ مُوَضِّحاً فيها أسبابَ زَلَلِهِم ونتيجةَ إنكارِهِم لأُمورٍ سَلَّم لها العقلُ ، وجاء بها الشرعُ : ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [إبراهيم : ٤] ، وقد قال صلَّى الله عليه وسلَّم : « مَن رأى منكم منكراً فليُغَيِّرهُ بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه » ،

وليس هنالك مُنكَرٌ أعظمَ مِمَّا يناقض التوحيدَ وتنزيهَ الحقِّ تعالى ، راجياً من المولى الكريم الهادي إلى صراطٍ مستقيم أن يجعلَها خالصةً وهدايةً ، وأن يكتبَ لها القبولَ ، وينفعَ بها ، ويصرفَ عنها شرَّ الحاسدين وكيدَ الكائدين والمعاندين والمكابرين ، إنه سميع مجيب ، وآخرُ دعوانا أنِ الحمدُ للهِ ربِّ العالمين .

كَتَبَهُ

فقيرُ رحمةِ ربِّهِ ومغفرتِهِ ورضوانِهِ

نضال بنُ إبراهيمَ آله رشي

١/ صفر/ ١٤٢٩هـ

٨/ شباط/ ٢٠٠٨م

دمشق الشام حماها اللهُ تعالى

تمهيد

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

نحمدك يا من لا شريك لك ، ولا مثيل ولا شبيه ، تعاليت وتنزهت عن صفات الحوادث ، لا شيء قبلك ولا معك ، أنت الأول بلا بداية ، والآخر بلا نهاية ، لا يُشبهك شيءٌ من خلقك ، سبحانك أن يكون لك مكان أو زمان ، حمدَ عبدٍ مُقِرٍّ لك بالوحدانية ، مُنَزِّهٍ لك عن الحدود والغايات ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى : ١١] ، وأصلي وأسلم على خير خلق الله وأعلمهم به سيدنا محمد أفضل صلاة ، كلَّما ذكره الذاكرون ، وغفل عن ذكره الغافلون ، وعلى آله الطيبين الطاهرين ، وأزواجه أمهات المؤمنين ، وأصحابه أجمعين ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

وبعد :

فإنَّ الجهل والأهواء والبدع المخالفةَ لما أنزل الله سبحانه تزداد كلَّما بعُد الناس عن عهد النبوَّة ، وعهد السلف الصالح ، ونحن الآن في هذا الزمان الذي ظهر فيه أناس همُّهمُ الشذوذُ ، ومخالفةُ السلف والأئمةِ وأهلِ السنة والجماعة ، الموسومين بالأشاعرة والماتريدية ، بل يعكسُ أولئك الأمرَ ، فيجعلون أنفسهم أهل السنة ، ويجعلون أهل السنة هم المبتدعةَ ، ويدَّعون أنَّهم متَّبعون للسلف ، والسلف منهم بَراء ، فحاشا السلف أن يكون فيهم جاهل مُشبِّهٌ مجسم ، وهم خيار عباد الله ، المشهودُ لهم بالخيرية من سيد البرية صلَّى الله عليه وسلَّم .

ذكرُ أهل السنة وبيانُ فضيلتهم :

اعلم أنَّ أهل السُّنَّة والجماعة أتباعَ الإمامين الإمام أبي الحسن الأشعريِّ ، وإمام الهدى أبي منصور الماتريديِّ رحمهما الله تعالى هم أتباع السلف وأتباع

المذاهب الأربعة من الحنفيَّة والمالكيَّة والشافعيَّة وفضلاء الحنابلة ، وهم سواد هذه الأمَّة الأعظم ، وأئمَّة هذا الدين القويم ، ونحن نرفع رؤوسنا فوق الشمس باتباع هؤلاء أهل الهدى ، وقد جاءت البشرى إشارةً لهذين الإمامين ولأتباعهما في كلام الحبيب المحبوب صلَّى الله عليه وسلَّم ، وأيضاً جاءت الإشارة بخذلان مخالفيهم ، وأنَّهم يخرجون من الإسلام كما يخرج السهم من الرَّمِيَّة ، وإليك بيانه :

روى الإمام البخاري في « صحيحه » عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عنِ النبي صلَّى الله عليه وسلَّم قال : « أتاكم أهل اليمن ، هم أرق أفئدة ، وألين قلوباً ، الإيمان يمان ، والحكمة يمانية . . . » الحديث[1] .

وفي حديث البخاري أيضاً ، عن عمران بن الحصين رضي الله عنه قال : (جاءت بنو تميم إلى رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم ، فقال : « أبشروا يا بني تميم » ، قالوا : أما إذ بشرتنا فأعطنا ، فتغير وجه رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم ، فجاء ناس من أهل اليمن ، فقال النبي صلَّى الله عليه وسلَّم : « اقبلوا البشرى إذ لم يقبلها بنو تميم » ، قالوا : قد قبلنا يا رسول الله)[2] .

وأبو موسى الأشعري رضي الله عنه يَمَنِيٌّ ، وقد عنون البخاري عند هذا الحديث بقوله : (باب : قدوم الأشعريين وأهل اليمن ، وقال أبو موسى عن النبي صلَّى الله عليه وسلَّم : « هم منِّي وأنا منهم »)[3] .

وفي قوله تعالى : ﴿ فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾ [المائدة : ٥٤] ، قال صلَّى الله عليه وسلَّم : « هم قومُ هذا » ، وضرب بيده على ظهر أبي موسى الأشعريِّ رضي الله عنه[4] .

---

(١) « صحيح البخاري » ، كتاب المغازي ، باب (قدوم الأشعري وأهل اليمن) ، الصفحة (٧٤٤) ، رقم (٤٣٨٨) .

(٢) « صحيح البخاري » ، كتاب المغازي ، باب (قدوم الأشعري وأهل اليمن) ، الصفحة (٧٤٤) ، رقم (٤٣٨٦) .

(٣) المرجع السابق .

(٤) رواه بهذا اللفظِ الحافظُ ابنُ عساكر في « تبيين كذب المفتري » ، الصفحة (٤٩) ، ورواه ابن=

قال شيخ الإسلام الإمام تاج الدين السبكي رحمه الله تعالى : (وقدِ استوعب الحافظ ـ أي : ابن عساكر ـ في كتاب « التبيين »[1] الأحاديث الواردةَ في هذا الباب ، وهذا ملخصها : قال علماؤنا : بشَّر فيها صلَّى الله عليه وسلَّم بأبي الحسن الأشعري إشارة وتلويحاً ، كما بشَّر بأبي عبد الله الشافعي رحمه الله تعالى في حديث : « عالم قريش يملأ طباق الأرض علماً »[2] ، ومالكٍ رحمه الله تعالى في حديث : « يوشك أن يضرب الناس آباط الإبل ، فلا يجدون عالماً أعلم من عالم المدينة »[3] ، وممن وافق على هذا التأويل ـ أي : الذي في حقِّ الإمام الأشعري ـ وأخذ به من حفَّاظ المحدِّثين وأئمتهم الحافظُ الجليل أبو بكرٍ البيهقيُّ فيما أخبرنا به يحيى بن فضل العمري في كتابه ، عن مكي بن علام ، أخبرنا الحافظ أبو القاسم الدمشقيّ ، أخبرنا الشيخ أبو عبد الله محمد بن الفضل الفراويّ ، أخبرنا أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقيّ ، قال : أمَّا بعد : فإن بعض أئمَّة الأشعريين رضي الله عنهم ذاكرني بمتن الحديث الذي أنبأناه أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحافظ ، أخبرنا أبو العباس محمد بن يعقوب ،

= أبي شيبة في « مصنفه » (١٢/ ١٢٣) ، برقم (١٢٣١١) ، والطبرانيُّ في « المعجم الكبير » (١٧/ ٣٧١) ، برقم (١٠١٦) ، وغيرُهُم عن عياض الأشعري ، وقال الحافظ الهيثميُّ في « مجمع الزوائد » (٧/ ٨٠) : (رجاله رجال الصحيح) .

(١) انظر « تبيين كذب المفتري » للحافظ ابن عساكر ، الصفحة (٤٥) ، باب (ما روي عن النبي صلَّى الله عليه وسلَّم من بشارته بقدوم أبي موسى وأهل اليمن ، وإشارته إلى ما يظهر من علم أبي الحسن) .

(٢) رواه أبو نعيم في « حلية الأولياء » (٩/ ٦٥) ، والخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (٢/ ٦١) ، والحافظ البيهقي في « مناقب الشافعي » (١/ ٢٦) ، وانظر « تهذيب الكمال » (٢٤/ ٣٦٣ـ٣٦٤) .

(٣) رواه الحاكم في « المستدرك على الصحيحين » (١/ ١٦٨) ، رقم (٣٠٧) ، وقال : (صحيح على شرط مسلم ، ولم يخرجاه) ، والترمذيُّ في « سننه » ، كتاب العلم ، باب (ما جاء في عالم المدينة) ، الصفحة (٦٠٨) ، رقم (٢٦٨٠) ، وقال : (هذا حديث حسن) ، والنسائيُّ في « السنن الكبرى » ، (٢/ ٤٨٣) ، رقم (٤٢٩١) ، كلُّهُم بلفظ : « يضرب الناس أكباد الإبل » ، وغيرُهُم بألفاظ أخرى .

حدثنا إبراهيم بن مرزوق ، حدثنا وهب بن جرير ، وأبو عامر العقديّ ، قالا : حدثنا شعبة ، عن سماك بن حرب ، عن عياض الأشعري قال : لمَّا نزلت ﴿ فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾ [المائدة : ٥٤] ، أومأ النبيُّ صلَّى الله عليه وسلَّم إلى أبي موسى ، فقال : « هم قومُ هذا » .

قال البيهقي : وذلك لِمَا وُجِدَ من الفضيلة الجليلة ، والمرتبةِ الشريفة للإمام أبي الحسن الأشعريّ رحمه الله تعالى ، فهو من قوم أبي موسى وأولادِه الذين أوتوا العلم ، ورزقوا الفهم ، مخصوصاً من بينهم بتقوية السُّنَّة ، وقمع البدعة بإظهار الحجَّة وردِّ الشبهة ، والأشبه أن يكون رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم إنَّما جعل قوم أبي موسى من قومٍ يُحِبُّهُم ويُحِبُّونَهُ ؛ لِمَا علم من صحَّة دينه ، وعرف من قوَّة يقينه ، فمَن نحا في علم الأصول نحوهم ، وتبع في نفي التشبيه مع ملازمة الكتاب والسُّنَّة قولَهُم ؛ جُعل من جملتهم . هذا كلام البيهقي .

ونحن[1] نقول ولا نقطع على رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم : يشبه أن يكون نبي الله صلَّى الله عليه وسلَّم إنَّما ضرب على ظهر أبي موسى في الحديث الذي قدمناه ، للإشارة والبشارة بما يخرج من ذلك الظهر في تاسع بطن ، وهو الشيخ أبو الحسن ، فقد كانت للنبي صلَّى الله عليه وسلَّم إشارات لا يفهمها إلا الموفَّقون ، المؤيَّدون بنور من الله ، الراسخون في العلم ، ذووا البصائر المشرقة ، ﴿ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴾ [النور : ٤٠] ، وعن مجاهد في قوله تعالى : ﴿ فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾ [المائدة : ٥٤] ، قال : قوم من سبأ ، قال ابن عساكر : والأشعريون قوم من سبأ ، قلت : وقال علماؤنا : إنَّ النبي صلَّى الله عليه وسلَّم لم يُحَدِّث في أصول الدين أحداً بحديث حدثه للأشعريين ، وأنَّهم الذين اختصوا بسؤاله عن ذلك ، وإجابتِهِ لهم ، ففي « صحيح البخاري » وغيره عن عمران بن الحصين قال : إنِّي لجالس عند النبي صلَّى الله عليه وسلَّم ، إذ جاءه قوم من بني تميم ، فقال : « اقبلوا البشرى يا بني تميم » ، قالوا : قد

---

(١) أي : الإمام تاج الدين السبكي .

بشرتنا فأعطنا يا رسول الله ، قال : فدخل عليه ناس من أهل اليمن ، فقال : « اقبلوا البشرى يا أهل اليمن إذ لم يقبلها بنو تميم » ، قالوا : قبلنا يا رسول الله ، جئنا لنتفقه في الدين ، ونسألَك عن أول هذا الأمر . كذا في لفظ ، وفي لفظ البخاري : جئناك نسألك عن هذا الأمر ، قال : « كان الله ولم يكن شيء غيره »[1] ، وفي رواية : « ولم يكن شيء قبله ، وكان عرشه على الماء ، ثم خلق السماوات والأرض ، وكتب في الذكر كل شيء. . . »[2]) انتهى كلام الإمام السبكي[3] .

وقال تاج الدين السبكي أيضاً : (اعلم أن أبا الحسن لم يبدع رأياً ، ولم يُنشِ مذهباً ، وإنما هو مقرِّرٌ لمذاهب السلف ، مناضلٌ عمَّا كانت عليه صحابة رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم ، فالانتساب إليه إنَّما هو باعتبار أنَّه عقد على طريق السلف نطاقاً ، وتمسك به ، وأقام الحجج والبراهين عليه ، فصار المقتَدِي به في ذلك ، السالكُ سبيلَه في الدلائل ، يسمى أشعرياً)[4] .

هذا فيما يتعلق بالإمام أبي الحسن الأشعري رحمه الله تعالى ، أمَّا إمام الهدى أبو منصور الماتريدي رحمه الله تعالى ، فقد جاءت البشرى به إشارة وتلويحاً ، وذلك بقوله صلَّى الله عليه وسلَّم : « لتفتحن القسطنطينيَّة ، ولنعم الأمير أميرها ، ولنعم الجيش ذلك الجيش »[5] ، ومعلوم أنَّ الذي فتح القسطنطينة إنَّما

---

(١) « صحيح البخاري » ، كتاب بدء الخلق ، باب (ما جاء في قوله تعالى : ﴿ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الروم : ٢٧]) ، الصفحة (٥٣٢) ، رقم (٣١٩١) ، مع بعض زيادة في لفظه .

(٢) « صحيح البخاري » ، كتاب التوحيد ، باب ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ [هود :٧] ، الصفحة (١٢٧٦) ، رقم (٧٤١٨) .

(٣) « طبقات الشافعية الكبرى » ، (٣/ ٣٦٢) ، عند ترجمة الإمام أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري ، برقم (٢٢٣) ، وانظر « تبيين كذب المفتري » للحافظ ابن عساكر ، الصفحة (٥١) ، باب (ما روي عن النبي صلَّى الله عليه وسلَّم من بشارته بقدوم أبي موسى وأهل اليمن ، وإشارتِهِ إلى ما يظهر من علم أبي الحسن) .

(٤) المرجع السابق .

(٥) رواه الحاكمُ في « المستدرك على الصحيحين » ، (٤/ ٤٦٨) ، وقال : (وهذا الحديثُ =

هو القائد محمد الفاتح رحمه الله تعالى ، وهو حَنَفِيٌّ ماتريديٌّ ، صوفيُّ المشرب ، والجيش المذكور قد حوى الأشاعرة والماتريدية ، فلو كانوا جهميَّة معطِّلة مشركين ـ كما يقول ابن القيِّم في « نونيَّته »[1] ـ كيف يمدحهم رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم ؟!

ويكفي الإمامَ أبا منصور الماتريديَّ رحمه الله تعالى ما أطبق عليه أهل العلم أنَّه إذا أُطلق لقب إمام الهدى انصرف إليه ، والله يفعل ما يشاء ويرضى!

ذكرُ أهل البدعة وما وَرَدَ فيهم :

وأمَّا أهل البدعة من الحشوية « الوهابية » : فقد جاءت الإشارة في كلام النبي صلَّى الله عليه وسلَّم بوصفهم ، وبيان منزلتهم في الإسلام ، وأنَّهم خوارج هذه الأمة سابقاً ولاحقاً ، سلفاً وخلفاً ، وإليك البيانَ :

روى البخاري في « صحيحه » عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : بينا النبيُّ صلَّى الله عليه وسلَّم يقسم ذات يوم قسماً ، فقال ذو الخويصرة ـ رجل من بني تميم ـ : يا رسول الله : اعدل ، قال : « ويلك مَن يعدلُ إذا لم أعدل ؟ » ، فقال عمر : ائذن لي فلأضرب عنقه ، قال : « لا ، إنَّ له أصحاباً يحقرُ أحدُكم صلاتَه مع صلاتهم ، وصيامَه مع صيامهم ، يمرقون من الدين كمروق السهم من الرَّمِيَّة . . . » الحديث[2] .

وذو الخويصرة ممن ظهر من المشرق منهم كما سيأتي في حديث أحمد ،

= صحيحُ الإسنادِ ، ولم يخرجاه) ، ووافقه على تصحيحه الحافظ الذهبيُّ ، وأورده الحافظُ ابنُ عبد البر في « الاستيعاب » ، (١/ ١٧٠) ، وقال : (إسنادُهُ حسنٌ) ، وقال الحافظُ الهيثميُّ في « مجمع الزوائد » (٦/ ٣٢٣) : (رواه أحمدُ والبزار والطبرانيُّ ورجالُهُ ثقاتٌ) .

(١) انظر « نونية ابن القيم » بشرح الهراس (٢/ ٣١٠) ، وقد عَقَدَ فصلاً خاصاً تحت عنوان (بيان أن المعطلَّ شرٌّ من المشرك) ، يريد بالمعطِّلة أئمةَ أهل الحقِّ أهلِ السنة والجماعة الأشاعرة والماتريدية .

(٢) « صحيح البخاري » ، كتاب الأدب ، باب (ما جاء في قول الرجل : ويلك) ، الصفحة (١٠٧٤) ، رقم (٦١٦٣) .

وانظر إلى سوء أدبه وفظاظته وجلافته مع رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم ، ثم انظر إلى خوارج زماننا ـ أعني : الوهَّابيَّة ـ تجد أنَّ سوء الأدب والغلظة والفظاظة ميراث بينهم ، وتظهر لي إشارةٌ تبيِّن سبب فلاح أهل السُّنَّة من الأشاعرة ، وخذلان الخوارج الحشويَّة ، وهي أنَّ سبب خذلانهم هو عدم قبولهم البشرى من رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم ، والحديث قد مرَّ ، لكن أعيده لتظهر الفائدة جليَّةً ، قال عمران بن الحصين رضي الله عنه : (جاءت بنو تميم [وذو الخويصرة منهم] إلى رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم ، فقال : « أبشروا يا بني تميم » ، قالوا : أَمَا إذ بشَّرتنا فأعطنا [وهذا سوء أدب] ، فتغيَّر وجه رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم [وهل تغيَّر وجه رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم إلاَّ من سوء أدبهم ؟] ، فجاء ناسٌ من أهل اليمن [وأبو موسى الأشعريُّ منهم ، والأشعريُّون معهم كما مرَّ تبويب البخاريّ لذلك] ، فقال النبيُّ صلَّى الله عليه وسلَّم : « اقبلوا البشرى إذ لم يقبلها بنو تميم » ، فقالوا : قد قبلنا يا رسول الله)[1] .

والحديث لم يبيِّن ما هي البشرى ، فانظر إلى الفرقتين (بنو تميم) وذو الخويصرة منهم ، (والأشعريُّون) وأبو موسى ـ ومِن ثَمَّ أبو الحسن ـ منهم ، أساءت بنو تميم الأدب ، ولم يقبلوا البشرى ، وقبل البشرى أهل اليمن ، والحال في زماننا هو هو ، الأشاعرة والماتريديَّة ، والحشويَّة الخوارج ، الأشاعرة والماتريديَّة أتباع الحق المُحِبُّونَ المُعَظِّمُونَ ، والحشويَّة أصحابُ الجَلافة وقلَّة الأدب ، كما هو أصلهم ذو الخويصرة .

وروى البخاريُّ عن سويد بن غَفَلة قال : قال عليٌّ رضي الله عنه : سمعت رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم يقول : « يأتي في آخر الزمان قوم حدثاء الأسنان ، سفهاء الأحلام ، يقولون من خير قول البرية ، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرميّة ، لا يجاوز إيمانُهُم حناجَرهم . . . » الحديث[2] .

---

(١) ما جاء بين معقوفين فمن كلام المؤلف .

(٢) « صحيح البخاري » ، كتاب المناقب ، باب (علامات النبوة في الإسلام) ، الصفحة (٦٠٦) ، رقم (٣٦١١) .

انظر إلى هذا الوصف ، ثم انظر إلى حشويَّة زماننا وخوارجِه ، أليس هذا الوصف ينطبق عليهم ؟

وانظر إلى قوله صلَّى الله عليه وسلَّم : « يقولون من خير قول البرية » ، مع قولهم ودعواهم التَّمَسُّك بـ(الكتاب ، والسنة ، والسلف) .

ويحتمل أن يكون اللفظ في الحديث مقلوباً ، أي : يقولون من قول خير البرية ، وهي أحاديثه صلَّى الله عليه وسلَّم ، فهم يزعمون التَّمَسُّك بالسُّنَّة ، لكن هيهات هيهات ، الزعم شيء ، والحقُّ شيء آخر .

فإن قال قائل : الخوارج أصحاب ذي الخويصرة قد خرجوا وانتهوا ، وهؤلاء ليسوا منهم ، فأقول : إنَّ حديثَ البخاريّ الأخير يبيِّن أنَّهم سيظهرون في آخر الزمان ، ولسنا نحن في أوَّل الزمان ، وما علمنا في التاريخ أنَّ أحداً من الفئات ظهر بهذا الوصف ، وسيأتيك مزيد بيان فاصبر .

روى أحمد في « مسنده » عن شريك بن شهاب ، قال : كنت أتمنَّى أن ألقى رجلاً من أصحاب النبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم يحدِّثني عنِ الخوارج ، فلقيت أبا برزة رضي الله عنه . . . فقال ـ أي : أبو برزة ـ : أحدِّثك بما رأت عيناي ، وسمعت أذناي . . . قال صلَّى الله عليه وسلَّم : « يخرج مِن قِبَلِ المشرق رجال ، كأنَّ هذا ـ أي : ذا الخويصرة ـ منهم ، هديهم هكذا ، يقرؤون القرآن[1] ، لا يُجاوز تَراقِيَهُم ، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرميَّة ـ ووضع يدَه على صدره ـ سيماهمُ التحليق ، لا يزالون يخرجون حتى يخرج آخرهم . . . » إلى أن قال : « شَرُّ الخَلقِ والخليقة »[2] . فاحفظ هديَهُم وسمتَهُم لما سيأتي .

فالجواب أولاً لمن قال : إنَّ الخوارج قد قُتِلُوا وانتهوا ، بدليل رواية مسلم :

---

(١) قال صلَّى الله عليه وسلَّم : « سيخرج من أمتي أقوامٌ أشدَّاءُ أحِدَّاءُ ذَلِقَةٌ ألسنتُهُم بالقرآن ، لا يُجاوزُ تَرَاقِيَهُم » رواه أحمد في « مسنده » (٣٤/ ٩٧) ، برقم (٢٠٤٤٦) ، وإنَّك إذا استقرأْتَ قارئي القرآنِ ممن يُحَسِّنُ صوتَه ويتغنَّى به في هذا الزمان وجدتَ أكثرَهُم من الحَشَويَّة الخوارج أتباعِ ابنِ عبد الوهاب .

(٢) رواه الإمام أحمد في « مسنده » (٣٣/ ٢٦) ، رقم (١٩٧٨٣) ، وغيرُه .

« يقتلهم أدنى الطائفتين إلى الحقِّ »[1] : أنَّ هذه الرواية لا تفيد قتل الكلِّ ؛ لأنَّه لم يُؤَكَّد بنائب المصدر ، فلم يقل : يقتلهم كلَّهُم ، وليس الأمر ببقاء أشخاصهم ؛ لأنَّ هؤلاء إنَّما يرث المتأخِّرُ منهم المتقدِّم ، وهذا يفيده قولُه صلَّى الله عليه وسلَّم في رواية أحمد : « لا يزالون يخرجون حتى يخرج آخرهم » ، بل في رواية أخرى : « حتى يخرج آخرهم مع الدَّجَّال »[2] ، هذا شيء ، والشيء الآخر : أن تنظر إلى وضعه صلَّى الله عليه وسلَّم يدَه على صدره وقولِه : « سيماهمُ التحليق » ، وأن تنظر أين يضع خوارج زماننا أيديَهم في الصلاة ، فإنَّ معنى التحليق الارتفاع ، فإن قلت : هو من حلق الرأس ، فنقول : قد حصل كلٌّ من الفعلين ، فإنَّهم عندما خرجوا من نجد ، وقتلوا المسلمين ، واستباحوا دماءهم وأموالهم ؛ كانوا يأمرون كلَّ مَن يَتَّبِعُهُم أن يحلق رأسه ، حتى النساء[3] ، قال العلامة ابن عابدين رحمه الله تعالى في « حاشيته » المشهورة : (وإلا فيكفي فيهم ـ أي : في تسميتهم والحكمِ عليهم أنَّهم خوارج ـ اعتقادهم كفرَ مَن خرجوا عليه ، كما وقع في زماننا في أتباع عبد الوهاب الذين خرجوا من نجد ، وتغلبوا على الحرمين ، وكانوا ينتحلون مذهب الحنابلة ، لكنَّهمُ اعتقدوا أنَّهم همُ المسلمون ، وأنَّ مَن خالف اعتقادَهُم مشركون ، واستباحوا بذلك قتلَ أهل السُّنَّة ، وقتلَ علمائهم ، حتى كَسَرَ اللهُ تعالى شوكتَهم ، وخَرَّبَ بلادَهُم ، وظفر بهم عساكر المسلمين عام ثلاث وثلاثين ومئتين وألف)[4] .

---

(١) « صحيح مسلم » بشرح النووي ، كتاب الزكاة ، (٧/ ١٦٨) ، رقم (١٠٦٥) .

(٢) « مسند الإمام أحمد » (٣٣/ ٤٤) ، برقم (١٩٨٠٨) .

(٣) انظر « الفتوحات الإسلامية بعد مضي الفتوحات النبوية » للعلامة أحمد بن زيني دحلان (٢/ ٢٤٤ ، ٢٤٥) (ذكر فتنة الوهابية وتملك الفرنسيس) ، وفيه يقول السيد الشيخ عبد الرحمن الأهدل مفتي زبيدة : (لا حاجة إلى التأليف في الرد على الوهابية ، بل يكفي في الرد عليهم قولُهُ صلَّى الله عليه وسلَّم : « سيماهم التحليق » ، فإنه لم يفعله أحد غيرُهُم من المبتدعة) ، وانظر أيضاً كتاب « صدق الخبر في خوارج القرن الثاني عشر » ، الصفحة (١٢٢ ، ١٢٣) .

(٤) حاشية ابن عابدين « رد المحتار على الدر المختار » (٣/ ٣٠٩) ، كتاب البغاة .

فانظر إلى قول العلامة ابن عابدين رحمه الله تعالى : (واستباحوا قتل أهل السُّنَّة) ، فهذا منه دليل أنَّ الوهابيَّة أتباعَ محمد بن عبد الوهاب ليسوا من أهل السُّنَّة ، وانظر إلى قوله : (عساكر المسلمين) .

ثم نقول : إنَّ كلمة التحليق تطلق على الحلق الذي هو إزالة الشعر بالموسى ، وعلى الارتفاع ، فتكون في الحديث إمَّا من عموم المجاز كما يقول الحنفيَّة ، أو من استعمال اللفظ في حقيقته ومجازه بالنظر إلى المجاز ، وهذا جائز عند الشافعيَّة ، فتكون صفتهم في كلِّ عصر مختلفة ، أو يكون على تعدد صفاتهم بتعدد خروجهم[1] ، وهذا أيضاً جائز كما هو معلوم في علم الأصول ، وأمَّا الممنوع من اجتماع الحقيقة والمجاز بلفظ واحد ، فهو إذا أريدا معاً في حالة واحدة في وقت واحد ، كاستحالة أن يكون الثوب ملكاً وعاريةً على لابسه في زمان واحد ، وهذا عند الحنفيَّة ، أمَّا هنا فلم يُرادا في حالة واحدة ، ولا وقت واحد ، بل في اختلاف أحوالهم على اختلاف خروجهم وظهورهم في الأزمان ، فعادت المسألةُ اتفاقيَّةً ، والله تعالى أعلم .

وقد قال الإمام تقيُّ الدين السبكيُّ في وصف هذه الطائفة : (وأمَّا الحشوية فهي طائفة رذيلة جهال ، ينتسبون إلى أحمد ، وأحمد مُبَرَّأٌ منهم . . . وما زالوا من حينَ نبغوا مُستَذَلِّينَ ، ليس لهم رأسٌ ولا مَن يناظر ، وإنَّما كانت لهم في كلِّ وقت ثوراتٌ ، ويتعلَّقون ببعض أتباع الدول ، ويكفي الله شَرَّهُم ، وما تعلقوا بأحد إلا كانت عاقبتُهُ إلى سوء[2] ، وأفسدوا اعتقادَ جماعة شذوذٍ من الشافعية وغيرِهِم ، ولا سيما بعض المحدِّثين الذين نقصت عقولُهُم أو غلب عليها مَن

---

(١) قال صلَّى الله عليه وسلَّم : « سيخرج أناسٌ من أمَّتي من قِبَل المشرق ، يقرؤون القرآن ، لا يُجاوِزُ تَرَاقِيَهُم ، كلَّما خرج منهم قَرنٌ قُطِع ، كلَّما خرج منهم قَرنٌ قُطِع ، حتى عَدَّهَا زيادةً على عشر مرات ، كلَّما خرج منهم قَرنٌ قُطِع ، حتى يخرج الدَّجَّالُ في بَقِيَّتِهِم » رواه أحمد في « مسنده » (١١/ ٤٥٥) ، برقم (٦٨٧١) .

(٢) ويشهد لكلام الإمام السبكيِّ ما يحصل في أيامنا هذه والتي قبلها في بعض البلاد الإسلامية والعربية .

أضلَّهُم ، فاعتقدوا أنَّهم يقولون بالحديث)[1] .

فانظر يا أخي مُمعِناً ، واطلب الحقَّ تجده ، واعلم أنَّ الأشاعرة والماتريديةَ هم سواد الأمَّة الأعظم ، الذين أُمِرنا أن نكون معهم ، وهم أتباع أئمة المذاهب الأربعة ما عدا شرذمة من حشوية الحنابلة ، وأنَّ هذه الأمة لا تجتمع على ضلالة ، والنادر لا حكم له .

وبعد هذا التمهيد نشرع في المقصود من الباب الأول الذي عقدناه للكلام على (الحقيقة والمجاز) مستعينين بالله تعالى .

* * *

(١) « السيف الصقيل » ، الصفحة (١٦) .

الباب الأول

الحقيقة والمجاز